فلأن ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ في حقل الإنذار في القرى الرسالية، وإنها جمع محلي باللام وهو يفيد الاستغراق، إذاً فمستغرق القرى الرسالية أرضية وسماوية كلها تظل في ظلِّ هذه الرسالة العالمية الكبرى دون إبقاءٍ.

فلئن كان النص «مكة ومن حولها» لكان ظاهراً في الجزيرة العربية، ولكنه ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فـ ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ الشاملة لكافة المجتمعات المكلفة بالرسالات في الكون كله، تفسِّر ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ بمن حول هذه العاصمة الرسالية العالمية.

فَسِعة ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ هي فسحة هذه الدعوة، ولأن ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ لا تختص بما حول مكة حيث تشمل ما تسمى قرية في أرض أو في سماء، فـ ﴿حَوْلَهَا﴾ تعني نفس ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ ومكة أمها كلها، دون مثل الطائف[1] بل إن ما حولها طائف على العالمين أجمعين، دون «طائف» ولا طائفة خاصة من العالمين.

فكما يُعنى مما حول عاصمة الجمهورية الاسلامية كافة البلاد فيها، ويُعنى مما حول عاصمة الدولة المهدوية كافة من في الأرض وسائر المكلفين في أرجاء الكون، كذلك - وبأحرى - ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ في هذه الرسالة السامية، فإن ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ التي هي حول «الأم»: العاصمة - هي مستغرق المجتمعات من كافة المكلفين من كلّ العالمين من أهل السماوات والأرضين.

هنا وفي الشورى (٧) ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وفي أخرى ﴿لِأُنذِرَكُم

(١) في تفسير العياشي عن علي بن أسباط قال قلت لأبي جعفر عليه السلام لِمَ سمي النبي الأمي؟ قال: نسب إلى مكة وذلك من قول الله: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧] وأم القرى مكة ومن حولها الطائف» أقول: هذا تفسير بأقرب المصاديق فلا تضيق به الآية الطليقة الشاملة لكلّ القرى في الكون كله.

بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[١] تشملان في ذلك الإنذار كافة البالغين من القرى المكلفة بشرائع الله، وليس الإنذار إلّا بالقرآن كما التذكير ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٢] فلا تختص الدعوة القرآنية بالعرب، أم عرب الجزيرة، أم القرى المجاورة لأم القرى في الجزيرة، بل هي للناس كافة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٣] ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[٤] بل ولكلّ العالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٥].

فقد تصيَّد أعداءٌ للإسلام من المستشرقين أن تقصر الدعوة على أهل مكة ومن حولها، مقتطعين آية أم القرى من القرآن كله ليخيِّلوا إلى البسطاء أن هذه الدعوة كانت في بدايتها محصورة بهؤلاء الأميين ومجاوريهم، ثم توسعت في الجزيرة كلها ثم همَّ محمد ﷺ أن تتخطاها إلى الناس كافة وذلك بعد هجرته إلى المدينة وقيام دولته بها.

ولكنهم تغافلوا عن المعني من القرى في أم القرى، كما تغافلوا أن آيات الأنبياء وسبأ والأعراف من أوليات المكيات بداية الدعوة.

وحين تكون الدعوة الإسلامية للناس وللعالمين كافة، فالمتخلف عنها زعم اختصاصها بغيره خارج عن الناس وعن العالمين أجمعين، فهو - إذاً - في زمرة النسناس.

وهنا نقول لمثل «الحداد» يا حداد قف على حدك وخفف عن جزرك ومدك فما كتاب الله لعبة تلعب بها أنت وأمثالك[٦].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.
(٢) سورة ق، الآية: ٤٥.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٦) الأستاذ الحداد البيروتي رئيس مطارنة بيروت هو الذي ألف على إشرافه أربعة عشر كتاباً ردّاً=

فالقرآن هو وسيلة الدعوة الخالدة إلى يوم الدين، دعوة بأهله الرساليين، رسولاً وأئمة معصومين، ومن ثم علماء ربانيين دارسين في مدرسة القرآن العظيم، محصورة الدعوة والدعاية في هذا المثلث، إضافة إلى السنة الشارحة، وكلّ ذلك لمكان ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ دون «لينذر» هنا و﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾[1] وما أشبه في غيرها، فكامل الإنذار هو أن يكون بكتاب معصوم بمنذر معصوم أمن يتلو تلوه ويحذو محذاه ويرمي مرماه.

ذلك! فلا تعني «ما حولها» الحول المجاور لها، ولا - فقط - مشارق الأرض ومغاربها، لأن أم القرى هي العاصمة الكبرى للمملكة الرسالية، ف «ما حولها» تعم كلّ قراها في الكون كله.

وهنا براهين أربعة تثبت وحي القرآن، أولاها ﴿مُبَارَكٌ﴾ حيث يحمل كافة البركات المرجوة من عند الله تعالى، فلا تجد بركة ربانية صالحة صادقة إلّا ويحويها ذلك الكتاب المبين والبرهان المتين.

فهو مبارك في صيغة التعبير بلاغة وفصاحة في القمة العليا، مبارك في الدلالة والتدليل، مبارك في وفَق الفطرة والعقلية السلمية وقضية الواقع المُعاش السليم دون أي دغَل أو دَخل أو دَجَل، فلا مزرءة فيه في أي حقل من الحقول، ولا مَمْسك عليه علمياً أو عقلياً أو واقعياً أم في أي سؤل أو سؤال للمكلفين، وفي جملة واحدة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2].

وثانيتها: ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فالكتاب غير الإلهي ليس ليصدق

= - بزعمه - على القرآن ومنها «الكتاب والقرآن» حيث ذكر فيه شطحات مثل أن القرآن دعوة عربية وليست عالمية.

(١) سورة ق، الآية: ٤٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

الوحي - كما لا يصدقه الوحي - ولا يصادقه لاختلاف الصادر والمصدر، فلا يصدِّق الوحي إلّا الوحيَ لتطابق المغزى، وتوافق المعنى.

فسلسلة الوحي الرباني مرتبطة بحلقات متماثلة مهما تفاصلت في طقوس أو تفاضلت، فإنها تتفاضل حسب المصالح ولا تتعاضل، وسائر السلسلة غير متماثلة وهي متفاصلة متعاضلة، قضيةَ وحدة المصدر وطليق العلم هناك، وعديد المصدر وحدّ العلم هنا.

ذلك، كما وأن تصديق الذي بين يديه حجة على أهل الكتاب تحرضهم على الإيمان به، ولا سيما في الزمن القاحل الجاهل الذي سيطر فيه الجهل، وحرّفت كتب الوحي عن جهات أشراعها.

لا سيما وأن القرآن يذكِّرهم بما في تلك الكتابات من بشارات في تصريحات وإشارات إلى هذه الرسالة الأخيرة.

كما وأن بلاغة التعبير وتلائم المعبر عنه دون تصادم - حال أن كتبهم أدنى تعبيراً وهي محرّفة - يدلهم على أنه بأحرى منها في صبغة الوحي وصيغته وصياغته.

وثالثتها ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ حيث إن مسؤولية إنذار أم القرى وفيها ألدّ الأقوام في التأريخ الرسالي، هذه بواقعية تأثيره كما حصلت، مما يبرهن على بارع وحيه وقارع وقعته.

ورابعتها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَآ﴾ حيث الرسالة العالمية تتطلب معدات أقوى مما سواها، والنظر الصائب الثاقب يفيدنا أن قابلية هذه الرسالة وفاعليتها تناسب الإنذار الطليق في العالمين أجمعين[1].

(١) لتكملة البحث حول ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَآ﴾ [الأنعام: ٩٢] راجع تفسير آيتها الثانية ٢٥: ١١٥ - ١٢٥.

ذلك، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ حيث الإيمان بالآخرة إيمان بالحساب، فالثواب والعقاب، ولزامه الرسالة الإلهية الحاملة لتكاليف الشرعة الحافلة لسؤل المتشرعين، فلولاها لكانت الآخرة عاطلة، إذاً فالإيمان بذلك البعث يوم الأخرى إيمان بالبعث يوم الأولى، ومن ثم إنه هو الداعي إلى أمن شامل في الآخرة بما يبين من شروطات الأمن الواجب تحقيقها يوم الدنيا.

فالمؤمن بالآخرة حساباً وثواباً وعقاباً يفتش عن أصلح المعدات لحياة سعيدة فيها، وقضية ذلك التحري الصالح هي الوصول إلى كامل الإيمان بالقرآن ورسوله، وكلما كان الإيمان بالآخرة أقوى فذلك التحري أكثر وأقوى، وكلما كان أضعف كان صاحبه أفشل وأغوى.

صحيح أن من قضايا الإيمان بالآخرة هو الإيمان بشرعة سماوية تعم كلّ كتب السماء، إلّا أن صالح الإيمان بعد تحرُّف الكتب السالفة ونزول كتاب جديد مهيمن عليها، غير محرف عن جهات أشراعها، إن ذلك يقتضي - فقط - الإيمان بالقرآن تطبيقاً له في كافة ميادين الحياة، مهما كان التصديق بكلّ كتب السماء أيضاً من قضاياه، تصديقاً لأصل الوحي فيها، وتصديقاً لانقضاء دورها، فتصديقا بهذا القرآن كآخر منشور من ولاية الله.

فلأن إيمان الكثير من أهل الكتاب بالآخرة قليل ضئيل قصوراً منهم وقصوراً في كتبهم لتحرفها عن الآخرة، الصالحة للإيمان، لذلك فهم لا يؤمنون بالقرآن تصلباً على شرعتهم القومية، مصلحيةَ الحفاظ عليها بالمنظر الأدنى إخلاداً على هذه الأدنى.

أجل وليس الإسلام هو الشرعة الوحيدة التي يؤمن بها من يؤمن بالآخرة لأنها فقط شرعة التوحيد الصالح والرسالة الصالحة وما أشبه كما يقوله قوالون، إنما هو المهيمن على ما بين يديه من كتاب ومصدق لصادق

الوحي فيها، ولا يندد القرآن إلّا بالمحرَّف المجدف فيها، فليحذر الكتَّاب والقارئون ذلك المزلق الخطير الذي يخيل إلى البسطاء أنه خدمة للإسلام.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ لأنها أفضل الصِلات إلى مرضات الله وأحوط الحياط على حرمات الله.

فإفراد الصلاة بالذكر بعد التوحيد والمعاد صُراحاً والإيمان بالقرآن بينهما، ذلك دليل الأهمية البالغة للصلاة بين كافة الصِلات ولكن شرطَ المحافظة عليها بكلّ المتطلبات المعرفية والعملية فيها، فإنها - إذاً - عمود الدين، وقد اعتبرت إيماناً بين سائر العبادات: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[1] فإنها واردة في حقل الصلاة عند غيار القبلة، كما ولم يعبّر عن سائر المعاصي بالكفر وقد عبّر به لترك الصلاة فـ «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر».

هنا تختم هذه الجولة المتلاحقة الأشواط بمشهد شاخص حي مكروب رعيب - مشهد الظالمين - والله من ورائهم رقيب:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾:

هنا عرض لثالوث منحوس من مظالم الافتراء في حقل الوحي، وأنها أظلم الظلم بحق الوحي:

١ - ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أنه ما أنزل على بشر من كتاب وما أرسل بشراً رسولاً ولا يحيي الموتى ليوم الحساب، وما أشبه من سلبيات

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

وإيجابيات كافرة مفترية على الله، ومن أكفرها اتخاذ الشركاء لله وعبادتها كما الله، وهو مفتاح كلّ فرية على الله.

٢ - ﴿أَوَ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كسائر المدَّعين الوحي بكلّ إدغال وإضلال ودون أي برهان ودليل.

٣ - ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ترفيعاً لرتبته إلى مرتبة الربوبية، أو تخفيضاً له تعالى إلى خافض منزلة العبيد، وكما قاله مشركون: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[1].

وهنا الرواية القائلة أن الرسول ﷺ كان يمضي ما يغيره بعض كتاب الوحي[2] إنها فرية قاحلة عليه ﷺ تجهيلاً لساحته، ونسبةَ الخيانة في الوحي إلى سماحته!.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣١.

(٢) نور الثقلين ١: ٧٤٥ في أصول الكافي أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أحدهما قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا...﴾ [الأنعام: ٢١] قال: نزلت في ابن أبي سرح الذي كان عثمان استعمله على مصر وهو ممن كان رسول الله ﷺ يوم فتح مكة هدر دمه وكان يكتب لرسول الله ﷺ فإذا أنزل الله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ كتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فيقول له رسول الله ﷺ دعها فإن الله عليم حكيم وكان ابن أبي سرح يقول للمنافقين: إني لأقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغير علي فأنزل الله تبارك وتعالى فيه الذي أنزل.
وفيه عن تفسير القمي حدثني أبي عن صفوان عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان أخا عثمان من الرضاعة أسلم وقدم المدينة وكان له خط حسن وكان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ دعي فكتب ما يمليه عليه رسول الله ﷺ فكان إذا قال له رسول الله ﷺ: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يكتب ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وإذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يكتب ﴿بَصِيرٌ﴾ ويفرق بين التاء والياء وكان رسول الله ﷺ يقول: هو واحد فارتد كافراً ورجع إلى مكة وقال لقريش: والله ما يدري محمد ما يقول: أنا أقول مثل ما يقول فلا ينكر عليّ فأنا أنزل مثل ما ينزل فأنزل الله على نبيه في ذلك ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ [الأنعام: ٩٣] فلما فتح رسول الله ﷺ مكة أمر بقتله فجاء به عثمان قد أخذ بيده ورسول الله ﷺ في المسجد فقال يا رسول الله ﷺ اعف عنه فسكت رسول الله ﷺ ثم =

ومما يحير العقول نقل أمثال هذه الأحاديث في كتب التفسير وسواها تصديقاً لمحتوياتها دون رعاية لحرمة القرآن ورسوله أو دراية لما يروى!.

وهكذا ابتلي الإسلام بروايات مختلقة تروى وتقع موقع القبول، مناقضةً صريحة لكتاب الله الناطق بالحق!.

وهذه الآية تندد - فيمن تندد - بهؤلاء المجاهيل الأغبياء، الراوين لأمثال هذه المختلقات الزور، ثم البسطاء الذين يتقبلونها آخذين لها بعين الإعتبار، لا لشيءٍ إلّا لأن فلاناً روى وفلاناً هوى.

ذلك! وابن أبي سرح المختلق فيه - في هذا المسرح - ما اختلق، كان - لو كان - يكتب الوحي في المدينة وآية التنديد مكية، ثم وكيف يستأمن النبي الصادق الأمين مثل هذا الخائن اللعين المصرح بخيانته ثم يقره عليها، ثم هو يرتد بتلك المجاراة الخائنة!.

وهنا نعرف الضرورة القاطعة في عدم الوثوق إلى الروايات شيعية أو سنية ما لم يصدقها القرآن، أم ولأقل تقدير لم يكذبها[1].

= أعاد فسكت ثم أعاد فقال ﷺ هو لك فلما مرّ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله فقال رجل كان عيني إليك يا رسول الله ﷺ أن تشير لي فأقتله فقال رسول الله ﷺ إن الأنبياء لا يقتلون بالإشارة فكان من الطلقاء».

وفي رواية ابن عباس أنه ابن سعد بن أبي سرح وكان أسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ وأنه لما نزلت الآية في «المؤمنون» ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] دعاه النبي ﷺ فأملأها عليه فلما انتهى إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فقال رسول الله ﷺ: هكذا نزلت علي... فشك عبد الله حينئذ وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين (رواه الكلبي عن ابن عباس).

أقول: في هذه الروايات مس من كرامة الرسالة وأمانتها وكرامة الوحي ومحتدة فهي من المختلقات الزور أعاذنا الله منها.

(١) فما لم تتقن في دلالة قرآنية لشيء ليس لك نقل حديث فيه أو تصديقه، وإذا استفاض أو تواتر=

ثم «أو» العاطفة بين الأوَلين دليل اختلافهما، فالمفتري على الله الكذب هنا لا يشمل «من قال أوحي إلى...» مهما كان من المفترين، فالأولون هم المشركون وأضرابهم الذين يفترون على الله الكذب، والآخرون هم المدَّعون الوحيَ، فكما أنهم أولاءِ يفترون الكذب فهم من أظلم الظالمين، كذلك مدعي الوحي ولا يوحى إليه بشيءٍ، فلو أنني: محمد الرسول - لم يوح إلي وادَّعيه لكنت من أمثالكم في أظلم الظلم.

ثم هنا فرقة ثالثة يدعي مستقبل الوحي وعداً مكذوبا، وهم أنحس من مدعي الوحي كاذباً لمكان ﴿سَأُنزِلُ﴾ الدالة على إمكانية إنزال مثل ذلك من عند الله أم سواه، ويكأنه إله من دون الله ينزل وحياً كما هو، أم هو مسيطر على الله يستنزله الوحي، أم ويستنزله ممَّن سواه، وذلك فرق الوحي المنزل على الرسل حيث ينزل عليهم ولا يُنزِلون، فإنما المُنزِل للوحي هو الله، والرسول ليس إلّا مَنزِله، والوسيطُ فيه هو النازل به، فـ ﴿سَأُنزِلُ﴾ هي دعوى فوق الرسالة ألوهية وسواها.

وقد تلمح ﴿مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أنه ينزله ممن سواه، نفسه أم سواه، وذلك من دعوى المماثلة مع الله، أن ينزل من الوحي على رسول كما أنزل الله على رسوله.

= حديث عن الرسول ﷺ أو الأئمة المعصومين من ذريته فالموافق للقرآن مصدق مفروض، والمخالف للقرآن مكذب مرفوض، وما لم تجد له أصلاً في كتاب الله فإلى سنة رسول الله ﷺ وما لم تجده فيها مما لا يخالف قاطع العقل والعلم والحس تصدقه، وحين يخالف واحداً منها لا تصدقه، وغير المخالف ولا الموافق للكتاب والسنة وغيرهما من المقطوع حجيته نتردد فيه ونحمّله على راويه.

إذاً فلا يجوز الاستناد إلى حديث بمجرد أن ناقله فلان ومصدقه فلتان، حيث الرسول ﷺ يحذرنا عن ذلك في خطبته الشهيرة الغرَّاء في منى: «لقد كثرت عليّ الكذابة وستكثر فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فما جاءكم عني من حديث يوافق كتاب الله وسنتي فأنا قلته وما جاءكم من حديث يخالف كتاب الله أو سنتي فلم أقله».

ثم ﴿سَأُنزِلُ﴾ في وعد الاستقبال لا مستقبل له منذ وعده كما لم يحصل حتى الآن، فقد حاول كثير أن يعارضوا وحي القرآن بما سواه وحتى بسائر وحي الله ولن يقدروا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

ذلك، والذين يختلقون ضوابط دون سناد إلى كتاب أو سُنة، ثم يرتكنون عليها في إصدار أحكام ينسبونها إلى الله، هم كذلك من المفترين على الله الكذب، أو القائلين ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ...﴾ أو ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ومن أشبه..

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ مشهد مفزع مرعب حيث غمرات الموت تغمرهم، وكما كانوا في غمرات الضلالات جزاءً وفاقاً ونكالاً حساباً.

وهنا استعارة لطيفة بارعة حيث شبه الظالمون الذين يعتورهم كرْب الموت وغُصَصه بالذين تتقاذفهم غمرات الماء ولججه، وقد سميت الكربة غمرة لأنها تغمر قلب الإنسان آخذة بكظمه وخاتمة على متنفَّسه، والأصل في ذلك كله غمرة الماء.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ... وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ لتوفِّيهم وهم ماسكون أرواحهم في زعمهم فيقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ عن الحياة الدنيا وعن أبدانكم، أمراً قاطعاً لا مرد عنه، فهم الباسطون أيديهم يتوفونهم رغم أنوفهم قائلين: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ كما أهنتم الحق ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

ذلك، وإن نفس المؤمن تنشط للخروج للقاء ربه، ونفس الكافر تكره

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.